الآثـــار اللـــغويـــة للـــعولـــمـــة (*)

بقلم لويس جان كالفي *ترجمة محمد يحياتن*

ليست اللغات أداة مفضلة للتواصل بين الناس فحسب، بل هي أيضا مرآة تعكس رؤية الناطقين بها وتصوّراتهم للعالم ومخيالهم وطريقتهم في نقل المعارف. إن خارطة التنوع اللغوي تزداد فقرا على مرّ الأيام، كي تتجه صوب توحيد مردّه إلى العولمة. ترى هل التنوع اللغوي يعدّ عقبة كأداء للتبادلات ونشر المعرفة ؟

السياسات اللغوية في زمن العولمة

كثر الحديث في أيامنا هذه عن العولمة قصد الخضوع لها أو لمواجهتها. في بداية شهر فيفري الماضي، مثلا، شاهدنا، عن طريق الوسائل الإعلامية، ما يشبه الصراع بين الرأسماليين الشرسين بدافوس في سويسرا والتقدميين الطيبين المجتمعين في بويرتو ألقري بالبرازيل. إن هذه الثنائية أو المانوية manichéisme لينوء بكلكله على تصوّراتنا، وحتى وإن كنت لم آت لأحدثكم عن السياسة بل بالأحرى عن علم السياسة اللغوي، فإني أود أن أقول استهلالا بأن هذه المواجهة المسرحية تتركنا حائرين ذلك أن مناهضة العولمة تبدو أن حلها البديل يكمن في النزوع إلى السيادة souverainisme والانطواء على الذات. وعلى الصعيد اللغوي، قد يعني هذا أن كل واحد يريد التشبث بمواقعه وبلغته. والحال إن كانت العولمة تحدّ فإنها تجبرنا على تصور حلول جديدة يجب ابتكارها واقتراحها، لا من باب الدفاع بل من وجهة نظر بناءة. ولا أحسبني أمتلك حلولا جاهزة ولكنني أروم التفكير بمعيتكم في أمرين اثنين:

- في تحليل عينيّ لحال عينية أولا (لا شك أن بعضكم قد سجل بأني أقترض هذه الصيغة من لينين)، أي في الوجه اللغوي للعولمة.
- في السياسات اللغوية التي توضع لمواجهة هذا النظام الدولي من جهة، وتحليلها ونقدها وتقويمها من جهة أخرى. في الواقع إن هذا البرنامج متواضع ولكنه يشكل في نظرنا ممرا لا مندوحة عنه. ثانيا، بعد فراغنا من الحصيلة، يمكننا أن نناقش بشكل بناء حول المستقبل اللغوي للعالم.

لنبدأ من البداية: ما هو الوضع اللغوي الذي هو عليه كوكبنا في زمن العولمة ؟

أودّ أن اقترح عليكم نموذجا تصورته وتمثلته للإبانة عنه، وقد سميته النموذج الجاذبي modèle gravitationnel (كالفي، 1999) الذي يمكننا، انطلاقا من المبدأ القائل بأن اللغات مرتبطة بعضها ببعض من قبل مزدوجي اللغة وبأن نظام الازدواجيات اللغوية وتراتبها ، التي هي نفسها ثمرات ميزان القوى والتاريخ، من تقديم علاقاتها باعتماد مفهوم الجاذبية. من ذلك مثلا أن بفيقو بقاليسيا يتوفر مزدوج اللغة: القاليسية والإسبانية على جميع الحظوظ التي تجعل القاليسية لغته الأم بينما في الجزائر ، نجد أن مزدوج اللغة: عربي/ فرنسي يتوفر على كل الحظوظ التي تجعل لغته الأم هي العربية ...وهذا الشأن الإحصائي يبيــّن لنا بأن أنظمة الإزدواجية اللغوية موجهة وأنها تسمح لنا بتقديم لغات العالم على النحو التالي.

حول لغة مركزية للغاية hypercentrale يميل الناطقون بها أيما ميل للأحادية اللغوية، تتحلق عشر لغات مركزية جدا super-centrales (الفرنسية، الإسبانية، العربية، الهندية، الماليزية إلخ) يميل الناطقون بها، حين يمتلكون لغة أخرى، إما لاكتساب الإنجليزية (الازدواجية " العمودية ") أو لاكتساب لغة من نفس المستوى (الازدواجية " الأفقية "). وحول هذه اللغات المركزية جدا تتحلق حولها مائة أو مائتا لغات مركزية هامشية périphériques. وعند كل مستوى من هذا النظام تتجلى إذن نزعتان، الأولى نحو إزدواجية لغوية " أفقية" (اكتساب الفرد للغة من نفس مستوى لغته) والثانية نحو ازدواجية لغوية "عمودية " (اكتساب لغة ذات مستوى عال جدا)، وهاتان النزعتان تشكلان أساس النموذج. والحال إن الأمور أكثر تعقيدا ذلك أن تنتمي إلى نظامين فرعيين ويمكن أن تتحلق حول لغة هاهنا وحول لغة أخرى لاسيما في

الأوضاع الحدودية...وهذه حالة اللغة البربرية مثلا التي تتحلق بالمغرب الكبير حول الفرنسية والعربية في الوقت نفسه. وكما هو ملاحظ، فإن النموذج الجاذبي المقترح يروم الإبانة عن الوجه اللغوي للعولمة، أو عن آثار العولمة في العلاقات بين اللغات. إن هذا الوضع هو موضوع مجموعة من الخطابات النقدية التي تقدمه بوصفه أمرا مشينا وباعثا على الاستلاب، يتهدد التنوع الثقافي و"اللغات الصغيرة" والتعددية اللغوية العالمية إلخ. ذلك أنه لما كانت العولمة محلّ عدة انتقادات، فإن ترجمته اللغوية تذكي هذه الخطابات التي تتراوح بين التنديد بهيمنة اللغة المركزية القصوى أي الإنجليزية والدفاع عن اللغات الهامشية أو التعددية اللغوية مرورا بالدفاع عن اللغات المركزية جدا مثل الفرنسية والإسبانية والصينية...

إن منزلة الإنجليزية العالمية اليوم أمر لا يمكن نكرانه. هل هو أمر طيب أم سيء ؟ ما همّ ! إنه أمر ماثل للعيان، قد يكون مؤقتا...

إن هذا التنظيم للعلاقات بين اللغات يسري فيه التاريخ بطبيعة الحال: إن الإنجليزية التي هي ثمرة سيرورات اجتماعية واقتصادية التي حصلت خاصة طوال القرن العشرين، أصبحت اليوم لغة مركزية للغاية في العالم كما كان الشأن بالنسبة إلى اللاتينية في أوربا، ولكنه من المستحيل معرفة ما هي اللغة التي ستضطلع بهذه الوظيفة خلال الخمسة أو العشرة قرون وما هي اللغات التي ستصبح لغات مركزية جدا واللغات الهامشية ولا حتى اللغات التي ستظل تستعمل. ومن ثمّ، فإننا سنقتصر إذن على تحليل آني للوضع العالمي الحالي باعتبار هذا النموذج الجاذبي هو حاليا أحسن نموذج يمكننا من الإبانة عنه بشكل أفضل.

إن هذا التقديم للوضع اللغوي للعالم نريده وصفيا محضا ونسخره لتوصيف مخلف ردات الفعل التي يستثيرها. وهكذا أفضت الأوجه الاقتصادية أو الاجتماعية للعولمة إلى حركات تجديدية أحيانا (مثل اقتراحات تطبيق رسم taxe طوبان Tobin)، في حين أن ردات الفعل إزاء الوجه اللغوي هي من طبيعة أخرى: مبادرات مختلفة للهيئات الدولية أو المنظمات غير الحكومية (برامج من قبيل مركتور Mercator، إعلان الحقوق اللغوية، قوائم اللغات المهددة إلخ) وعدد من الندوات والمنشورات التي قد تستثير ــ جراء تشديدها على موضوع موت العديد من اللغات ــ خوفا غير معقول وغير منتج. بالفعل، إن إطلالة سريعة على المنشورات الصادرة باللغة الفرنسية في سنة 2000 وحدها تبيّن هيمنة هذه المقاربة : فمجلة Courrier

international التي تعيد نشر مقالات الصحافة العالمية قد خصصت لها ملفا طويلا (العدد 486) وكذا عدد أفريل لـــ Courrier de l'UNESCO الصادرة بـــ 27 لغة. وكذا مجلة Panoramique التي أعلنت في عددها 48 " اللغات: حرب كلمات " وكلود حجاج C.Hagège في كتبه الأخير: " لا لموت اللغات ! Halte à la mort des langues. وهذا الموضوع يظهر بأشكال مختلفة في الجدل الطويل الذي حصل في فرنسا بصدد الميثاق الأوربي للغات الجهوية أو الأقلية وكذا في أفكار هيئات الفرانكوفونية حول التعددية اللغوية والوسائل التي من شأنها أن تحافظ عليها إلخ. علما بأن رسل الموت المعلن عنه لجزء من لغات العالم لا يستندون على نفس الأعراض. فبالنسبة إلى حجاج، هناك 5000 لغة في العالم، 25 منها تنقرض كل سنة. أما رنكا بيلاك بابيك Ranka Bjeljac Babic (أنظر Le Courrier de l'Unesco، المرجع السابق، ص 18) فهو أكثر تفاؤلا وبشكل مزدوج: هناك 6000 لغة في العالم و10 منها فقط تنقرض كل سنة، وهذا من شأنه أن يطمئن حجاج). فيما يتعلق باللساني البريطاني دافيد كريستال (المرجع السابق، ص 36) فبصرح بوجود 6000 لغة في العالم، " نصفها تقريبا مدعو إلى الانقراض خلال هذا القرن " ذلك " أن هناك لغة تنقرض كل خمسة عشر يوما "، أي بمعدل 24 وفاة سنويا.

إن هذه العينة، المحدودة عن قصد، تكشف أمرين: من جهة، ونظرا للتباين الملحوظ في التوقعات وغياب البرهنة، فإن التنبؤات المتشائمة المعبر عنها أعلاه لا تستند على أي تحليل علمي. ومن جهة أخرى، فلئن تمّ الإلحاح كثيرا على "موت" اللغات، فلا أحد لمّح إلى "ميلاد" لغات جديدة التي تشهد عليها الأبحاث الميدانية العديدة (الأشكال المختلفة التي تكتسيها الفرنسية في غفريقيا أو كذلك بروز لغات ناقلة جديدة بين السرينام Surinam وقويانة Guyane وفي إفريقيا الوسطى إلخ).

وهكذا فإن هذا الخطاب يقوم على استثارة الانفعالات بدل الدعوة إلى إعمال النظر. لنذكر على سبيل المثال بعض عناوين ملف مجلة Courrier de l'Unesco: "6000 لغة:تراث في خطر"، "توزيع غير عادل"، "العالم يعالج اللغات" أو "لغات في خطر"، "البروتون قد ينقرض بعد خمسين سنة " ... غير أننا حين نمعن النظر في هذا الخطاب، نعثر على موضوع آخر" خلف الدفاع عن "اللغات الصغيرة" وهو معارضة هيمنة اللغة الإنجليزية من قبل الناطقين باللغات المركزية جدا (للناطقين باللغات الأقلية صلة مغايرة بالإنجليزية التي يمكن لهيمنتها أن تحافظ على لغاتهم). ولعل المثال الأكثر دلالة على ذلك هو مثال كلود حجاج الذي كتب في آخر كتابه

يقول:"إن جميع عوامل موت اللغات (...) قادرة على العمل على حساب أي لغة غير اللغة الإنجليزية "(حجاج، 2000، ص 365). وفي الصفحة نفسها، يشدد على اللبس الذي يحفّ بترقية اللغات المهددة، " وهو عمل غايته تأكيد الحرية "يجب دعمه ولكنه أيضا" عمل سياسي موجه ضد اللغة التي هيمنت في السابق، يمكن أن يسخر دائما كسلاح من لدن الداعين لتفوق الإنجليزية ". ذلك أن الخطر بالنسبة إلى حجاج، هو ما يسميه بـــ " الإنجليزية ــ الأمريكية "وما يخلص إليه: "وهكذا فإن التفكير العميق الذي غذته وقائع متنوعة، والذي قمت به في هذا الكتاب حول الموضوع المأساوي والمتجاهل لموت اللغات قد وجد تتويجه في الوعي بوجود الخطر الجمّ "(المرجع نفسه، ص 366ــ67) يبيّن أن خلف عنوانه الظاهر: لا لموت للغات، ثمة برنامجا آخر أو شعارا ملازما: لنوقف زحف الإنجليزية ! Halte à l'anglais...ترى هل يجب أن نكون مع هيمنة الإنجليزية أم ضدها ؟ وهل يجب الدفاع عن الفرانكوفونية ؟ وهل يتعين ترقية وحماية الكورسيكية والقوارنية والباسكية أو البامبارة ؟ وأي مدى ينبغي أن تبلغه السياسات اللغوية الساعية إلى حماية اللغات؟ هل من الممكن الإبقاء على صيغ لغوية تخلى عنها الناطقون بها ؟ يبدو لي أنه من المستحيل الإجابة عن هذه الأسئلة دون أن نحدد مسبقا معيار الحصافة والوجاهة. لم ولأي غرض الدفاع عن لغة وترقيتها ؟ كي نذهب بعيدا في النقاش، يجب الاهتداء إلى الوسيلة التي تجعلنا نفلت من خطاب الخوف الذي يستغل الانفعالات والأحاسيس والانتصار لقضايا إنسانية إن قليلا أو كثيرا. سننطلق من المبدأ القائل: إن اللغات، بوصفها نتاج الممارسة الاجتماعية، هي في خدمة الناس وليس العكس: فلكي نقرر الدفاع أو حماية أو محاربة لغة ما يجب أولا معرفة فائدتها بالنسبة إلى الناطقين بها وما هي وظيفتها الاجتماعية. وهذا بقصد معرفة ما إذا كان ينبغي ترك الأمور على حالها أو يجب السعي إلى تهيئتها، وحينئذ يجب علينا أن نتساءل حول حاجات الناطقين اللغوية وحول الوظائف الاجتماعية للغات التي يستعملونها: فالتسيير السياسي للغات يمر بتحليل وظائفها العملية و/أو الرمزية.

لنعد قليلا إلى نموذج الجاذبية الذي قمنا برسمه أعلاه. إن مزدوجي أو متعددي اللغات الذين يشكلون إسمنته لا يستعملون لغاتهم في نفس الأوضاع ولنفس الوظائف، وأن تحليل ممارساتهم ضروري لبلورة سياسة لغوية ما. ذلك أن العولمة تستلزم مختلف أنواع التواصل: من الدائرة الأسرية إلى الفضاء العالمي، إذ أن كل فرد يلفي نفسه وسط مختلف الشبكات التي

يمكن تصويرها بسلسلة من الدوائر المتحدة المركز التي تطابق من البعد الزمني اكتساب مختلف المستويات اللغوية أو التنوعات اللغوية، ومن حيث البعد الآني استعمال هذه التنوعات حسب السياق. الدائرة الأولى هي دائرة التواصل الحميمي جدا أي التواصل الأسري. ثم ننتقل إلى التواصل الجواري والحيّ. الدائرة الثالثة تطابق التواصل الرسمي في الوسط المدرسي أو وسط العمل، في حين تطابق الدائرة الرابعة التواصل العامي على الصعيد الوطني إلخ. ولئن كانت هذه الدوائر تسمح بتصوير تداخل هذه المستويات المختلفة، من الحميمي إلى المشترك الأوسع véhicualire فإن الانتقال من هذه الدائرة إلى تلك ليس آنيا بالضرورة بل هو تدريجي وقد يكون، على الصعيد اللغوي، بمثابة تكيّف، من خلال تغير المستوى اللغوي registre أو اللغة في حد ذاتها. في بعض الأحوال والأوضاع، يمكن للتواصل الحميمي أن يكون كتعدد اللغات، كما هو الشأن في بعض الأسر الإفريقية حيث يستلزم حضور العمات أحيانا عدة لغات يكتسبها الأطفال والإخوان وأبناء العم. كما أن الانتقال إلى التواصل الجواري أو التواصل الرسمي قد يتمّ عبر لغة مختلفة أو من خلال صورة مختلفة لنفس اللغة، كما هو الحال بالنسبة إلى التواصل على الصعيد الوطني. أخيرا، فيما يتعلق بالتواصل الدولي، يتمّ اللجوء إلى لغة ذات انتشار واسع قد تكون لغة مركزية جدا (الإسبانية، الفرنسية ...) أو مركزية للغاية (الإنجليزية)، كما يمكنها في الوقت عينه أن تكون مختلفة عن اللغة المستعملة في الدائرة الأولى أو صورة مشتركة لنفس اللغة. هذه الرؤية القائمة على دوائر متحدة المركز، التي تسري فيها حركة مستمرة/متقطعة من التكيف اللغوي تمتاز بكونها تبيّن لنا بأن الحاجات اللغوية للأفراد والزمر تتغير بتغير الأوضاع. وهذا التغير في الحاجات والوظائف اللغوية تترتب عنه استحالة استنباط قانون عام. هناك بعض اللغات ذات دور غير قابل للنقاش في بعض الأوضاع تنتمي إلى دائرة اللغات التي تتولى الإبانة عن الحياة الشخصية بينما هناك لغات هي من مشمولات الدولة التي تسيّرها وفق سياستها الداخلية او الخارجية. ومع ذلك يمكن اقتراح نموذج ذي ثلاث وظائف حيث يكون بإمكان كل فرد أن يمارس ثلاث أنواع من اللغات على الأقل: 1) لغة عالمية بالنسبة على علاقاته الخارجية. والإنجليزية التي تضطلع في كثير من الأحيان بهذه الوظيفة يمكنها أن تحدد لا كلغة عالمية بين لغات أخرى بل كـــ "لغة شاملة" هي ثمرة العولمة. 2) لغة الدولة (المنمطة الموحدة) التي هي في الغالب مركزية جدا أو مركزية والتي تمكنه من الانخراط في الحياة العامة لبلده. 3) أخيرا لغته المحلية grégaire التي يمكن أن تكون صورة محلية للغة الدولة (مثلا: إسبانية بيونس أيرس، وفرنسية مارسيليا

وعربية بنزرت إلخ) أو لغة مختلفة (الكيشوا في الإكواتور أو في البيرو، الألزاسية أو الكورسيكية في فرنسا إلخ) وهي اللغة التي يمكن أن تكتب أو لا وأن تتمتع أو لا تتمتع بمنزلة أو اعتراف جهوي. إن هذه الترجمة الفردية لنموذج الجاذبية حيث يمكن أن تؤدى جميع الوظائف من قبل اللغات المختلفة أو من قبل المستويات المختلفة لنفس اللغة، ستشكل دون شك التجهيز اللغوي القاعدي لمواطن الغد. ويبدو في هذه الخطاطة ذات ثلاثة مستويات (لغة عالمية، لغة الدولة، لغة محلية) أن منطق العولمة يفترض انقراض اللغة الثانية من هذه اللغات الثلاث أي لغة الدولة. وهكذا نجد في الولايات المتحدة الأمريكية جمعيات مثل US English و US First أو Save Our Schools تناضل من أجل أن يعترف بالإنجليزية كلغة رسمية للبلاد واللغة الرسمية الوحيدة، معارضة الإزدواجية اللغوية التي تبشر بها الهجرات الهامة للناطقين بالإسبانية. قد نعتبر من قبيل المفارقة كون بعض الناطقين بالإنجليزية يشعرون بأنهم مهددون من قبل الإسبانية بيد أن هذه التصورات جزء من الأوضاع ويجب إدراجها في وصفها. فهي تبين لنا بأن العولمة تفترض إشاعة ثقافة جماهيرية (سينما، تلفزة، إطعام على شاكلة ماكدونالد...) التي تتأقلم مع الثقافات الصغرى micro-cultures ولكنها تتحمل بصعوبة الاستثناء الثقافي والمقاومة (السينما الفرنسية واليابانية والإيطالية...) وبنفس الكيفية تقبل طوعا الانشطار إلى جماعات لغوية صغرى ولكنها تتحمل بصعوبة اللغات الوسيطة والمركزية جدا التي هي محليا مواقع مقاومة. وهكذا يمكن لأوربا الذهاب نحو هيمنة الإنجليزية بتعايشها مع عديد "اللغات الصغيرة" مثل القاليسية والكتلانية والباسكية والكورسيكية والألزاسية بينما تنحو الفرنسية والألمانية والإسبانية تدريجيا إلى منزلة اللغات المركزية وليس اللغات المركزية جدا. وبهذه المثابة، سيؤدي الدفاع عن "اللغات الصغيرة" إلى مضاعفة هيمنة اللغة المركزية للغاية، وهذا كما حصل بالنسبة إلى التقسيم اللغوي في الأوضاع التالية للاستعمار، حيث عزّز اللغات الرسمية مثل الفرنسية والإنجليزية والبرتغالية. في الواقع، إن هذا السيناريو الأوربي ليس الآن سوى فرضية ولكنه يلقي بضوء جديد على النقاش. صحيح أن اللغات جميعها سواسية في نظر ما اصطلحنا عليه بمعية ليا فاريلا بـــ :الخطاب PLC الذي يعني ببساطة أن جميع اللغات هي لغات وأنها جديرة بأن تكتب ولكن من حيث قيمتها ووظائفها كما في التصورات، فإنها غير متساوية .

في الختام، أود أن أعرض بعض الاتجاهات لسياسة لغوية ممكنة في زمن هذه العولمة التي قمت بالإبانة عن آثارها اللغوية. في البدء، لا بدّ لي أن أقدم توضيحا. لئن كان في مقدور أي كان وأي جماعة أن يصوغا سياسة لغوية ما، فإن الانتقال إلى الفعل أي التهيئة أو التخطيط يستلزم سلطة سياسية ومعنى هذا أنه لا تكفي إرادة التدخل في صورة أو منزلة statut لغة بعينها، فلا بد من توافر الوسائل أو الحصول عليها. فعلى أي مستوى من مستويات التنظيم الجاذبي للغات العالم، قد تستشعر مجموعات من الناطقين الحاجة إلى الدفاع عن لغتهم وفي كل مرة، سيطرح عليهم مشكل إمكانية الانتقال إلى مرحلة التخطيط اللغوي. الأمر بسيط في إسبانيا حيث الاستقلال الذاتي لمنطقة مثل كتالونيا وقاليسيا أو البلاد الباسكية تسمح لهم بالتشريع للغتهم، في حين أن الأمر ليس كذلك في إفريقيا أو في آسيا...إذن لكل وضع مشاكل مختلفة وحلول مختلفة. لن أعالج هاهنا سوى السياسات اللغوية التي يبدو أنها ترتسم اليوم في المستوى الثاني من نموذجي الجاذبي، أي في مستوى اللغات المرطزية جدا. فقياسا على كلمة فرانكوفونية يمكننا تصور ــ بقصد الدلالة على المجموعات اللغوية الكبرى ــ مفهوم فونيات Xphonies. بعض هذه الفونيات منظمة سياسيا أو ثقافيا. كحالة الإسبانوفونية بمعية OEI واللوزوفونية بمعية CPLP والعربوفونية مع الجامعة العربية وبالطبع الفرانكوفونية. والحال إن هذه الأخيرة قد انطلقت منذ سنة في سياسة الدفاع عن التنوع إزاء ما تراه خطر التوحيد uniformisationعن طريق الإنجليزية. في نوفمبر 2000 التأمت بباريس ندوة حول الفرانكوفونية والعربوفونية. وفي 20 و 21 مارس سيلتئم اجتماع حول الفرانكوفونية والإسبانوفونية واللوزوفونية. هناك أمارات تنمّ عن محاولة توحيد هذه الفونيات. ولكن من أجل أية سياسة ؟

بطبيعة الحال، لست في هذا المجال بمتنفّذ وبالكاد أنا مستشار ولكنني أود أن أقترح بعض المسالك للتفكير والتدبر. تتشكل السياسة اللغوية من سلسلة من الاختيارات التي ينتظر منها نتائج. وهذه النتائج قد تتعلق بصورة اللغات (متنها) corpus أو العلاقات بين اللغات (منزلتها). في الحالة الأخيرة، فإن أي قرار يتعلق بلغة ما لها انعكاسات على اللغات الأخرى التي تتعايش معها. نحن هنا في هذا الوضع النموذجي: إن نظرنا إلى اللغات المعنية (العربية، الإسبانية، الفرنسية، البرتغالية) بأنها متضامنة بعض الشيء في الوجه اللغوي للعولمة الذي قدمناه، فحينئذ يتعين على السياسة اللغوية المشتركة بين فونية أو فونيتين، أن تأخذ في الحسبان اللغات التي تحدد هذه الفونيات (الغات المركزية جدا) وكذلك اللغات التي تتحلق حولها (اللغات المركزية أو

الهامشية). والحال إن هذه المجموعات المختلفة لا تنطوي على نفس المصالح: فالفرانكوفونية تسعى إلى استمالة فونيات أخرى تحت شعار التنوع، وإن كنا مدركين لما تنظره من هذا التجنيد، فليس من المؤكد أن شركاءها سيجنون أدنى فائدة. ومن ثم فإنه من الضروري بمكان إعمال النظر في مصالح الأطراف. فالبرتغالية مثلا لغة أكثر استعمالا من الفرنسية الرسمية في عدد كبير من البلدان والصينية أو الروسية، والتي على عكس هذه اللغات الثلاث، غير معترف بها في الهيئات الدولية مثل اليونسكو والأمم المتحدة. حينئذ، من أجل تجنيد اللزوفونية حول التنوع، يجب أن تجد بنفسها فائدة عينية مثل المطالبة بمنزلة اللغة الرسمية أو بمنزلة مشابهة بالنسبة إلى البرتغالية. غير أن البرتغالية ليست اللغة الوحيدة التي تحتل منزلة عالمية دنيا. فالهندية والماليزية والبنغالية لغات أكثر استعمالا من الفرنسية. صحيح أن عدد الناطقين لا يكفي لترسيخ المنزلة الدولية للغة ولكن البرتغالية والألمانية والماليزية لغات رسمية للعديد من البلدان وأن تقاطع هذين العاملين (عدد الناطقين وعدد البلدان) قد يدفعنا إلى اقتراح ــ بالنسبة إلى الماليزية ــ منزلة مشابهة للمنزلة المقترحة على البرتغالية.

إن هذه الرؤية للأشياء تستلزم إذن ــ بالموازاة مع تحليل عيني لواقع اللغات، جردا للانتظارات والمطالب والآمال لمختلف الفونيات. فالفرانكوفونية مثلا لن تكون ذات مصداقية إلا إذا انكبت على منزلة الألمانية والإسبانية في مؤسسات المجموعة الأوربية ومنزلة البرتغالية في منظمة الأمم المتحدة أو في اليونسكو. إن توافر هذا الشرط هو الكفيل بوضع سياسة لغوية عالمية للفونيات حيث يجب على المجموعات اللغوية الأخرى واللغات المركزية أو الهامشية، أن تجد مكانها واستراتيجياتها ووسائلها.

المصدر: http://www.cafe-geo.net/article.php3?id_article=488

لويس جان كالفي أستاذ اللسانيات الاجتماعية بجامعة بروفانس، وهو صاحب قرابة عشرين كتابا مترجما إلى عشر لغات...(**)

** ترجمنا كتابين من كتبه هما: علم الاجتماع اللغوي، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006

والسياسات اللغوية، منشورات الاختلاف ودار العلوم للنشر، 2009.